سلسلة

فوائد من تفسير القرآن العظيم

[سورة يوسف]

مستقاة من كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي

جمع واختيار
منى الشمري

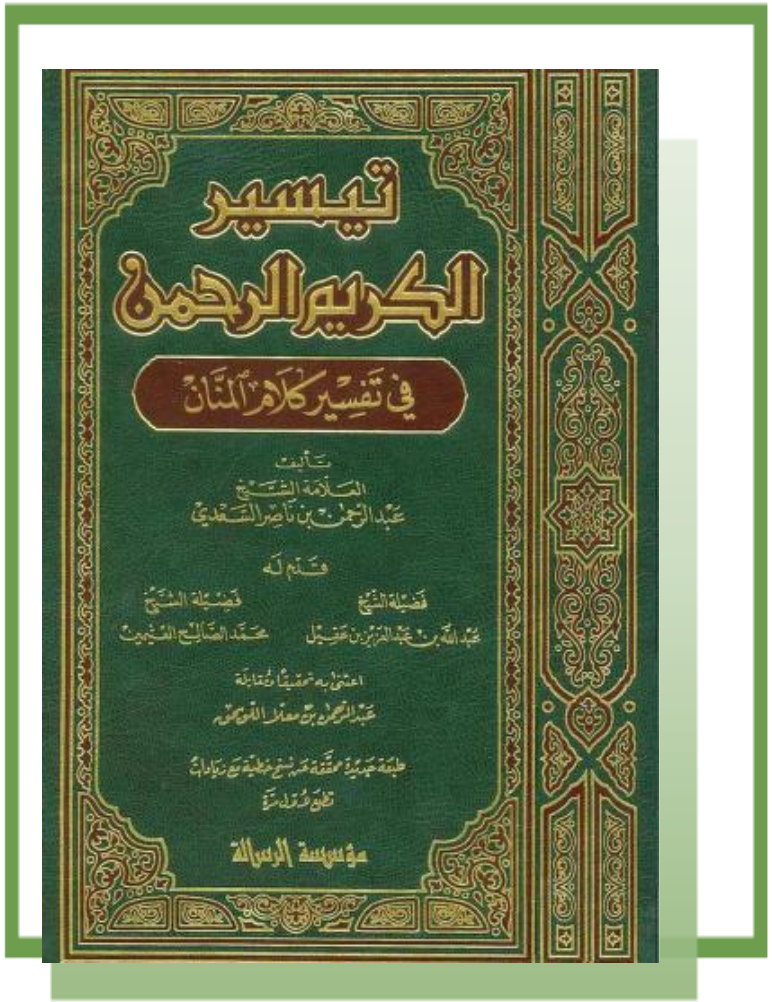

١

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} يوسف :٣

هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها ،
لما فيها من أنواع التنقلات، من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنَّة،
ومن ذل إلى عز، ومن رقٍّ إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف،
ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جدب، ومن جدب إلى رخاء،
ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار،
فتبارك من قصها فأحسنها ، ووضحها وبيَّنها

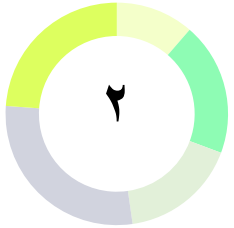

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} يوسف :٣

اعلم أن اللّٰه ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب،
ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة،
فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب،
فهو مستدرك على اللّٰه، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص،
وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحا، فإن تضاعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير،
من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه اللّٰه تعالى بشيء كثير.
فعلى العبد أن يفهم عن اللّٰه ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ينقل.

المرجع/ كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي ط/ مؤسسة الرسالة — تفسير سورة يوسف ص ٣٩٣

فوائد مستنبطة من تفسير سورة يوسف

{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} يوسف :٤

هكذا إذا أراد اللّٰه أمرا من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلا لأمره،
واستعدادا لما يرد على العبد من المشاق، لطفا بعبده، وإحسانا إليه،
فأوَّلها يعقوب بأن الشمس: أمه، والقمر: أبوه، والكواكب: إخوته،
وأنه ستنتقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال يخضعون له، ويسجدون له إكراما وإعظاما،
وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتباء اللّٰه له، واصطفائه له،
وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين في الأرض.
وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعا له فيها

{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} يوسف :٤

أن فيها أصلا لتعبير الرؤيا، وأن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبنى عليه المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، فإن رؤيا يوسف التي رأى أن الشمس والقمر، وأحد عشر كوكبا له ساجدين، وجه المناسبة فيها: أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها، وبها منافعها،

فكذلك الأنبياء والعلماء، زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنوار، ولأن الأصل أبوه وأمه، وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نورا وجرما، لما هو فرع عنه. فلذلك كانت الشمس أمه، والقمر أباه، والكواكب إخوته.

ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث، فلذلك كانت أمه، والقمر والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته،. ومن المناسبة أن الساجد معظم محترم للمسجود له، والمسجود له معظم محترم،

فلذلك دل ذلك على أن يوسف يكون معظما محترما عند أبويه وإخوته

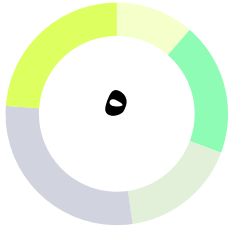

{قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} يوسف :٥

أنه ينبغي البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تخشى مضرته،
لقول يعقوب ليوسف
{يا بني لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا}
ومنها: أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره
لقوله: {فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا}

{كَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ} يوسف :٦

أن نعمة الله على العبد ، نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه ،
وأنه ربما شملتهم ، وحصل لهم ما حصل له بسببه ،
كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف
{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ}
ولما تمت النعمة على يوسف ، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة
ما حصل بسبب يوسف.

المرجع/ كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي ط/ مؤسسة الرسالة — تفسير سورة يوسف ص ٤٠٧

{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ} يوسف :٧

{لِلسَّائِلِينَ} أي: لكل من سأل عنها بلسان الحال أو بلسان المقال،
فإن السائلين هم الذين ينتفعون بالآيات والعبر،
وأما المعرضون فلا ينتفعون بالآيات،
ولا في القصص والبينات.

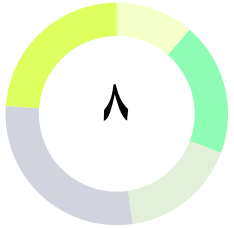

{إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } يوسف :٨

أن العدل مطلوب في كل الأمور، لا في معاملة السلطان رعيته ولا فيما دونه،
حتى في معاملة الوالد لأولاده، في المحبة والإيثار وغيره،
وأن في الإخلال بذلك يختل عليه الأمر، وتفسد الأحوال،
ولهذا، لما قدم يعقوب يوسف في المحبة وآثره على إخوته،
جرى منهم ما جرى على أنفسهم،
وعلى أبيهم وأخيهم.

{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ} يوسف :٩

قدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم
تسهيلا لفعله،
وإزالة لشناعته،
وتنشيطا من بعضهم لبعض

{قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ} يوسف :١٠

أن بعض الشر أهون من بعض،
وارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما،
فإن إخوة يوسف، لما اتفقوا على قتل يوسف أو إلقائه أرضا،
وقال قائل منهم: {لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ}
كان قوله أحسن منهم وأخف،
وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير.

{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ} يوسف :١٦

{وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا} يوسف :١٨

الحذر من شؤم الذنوب، وأن الذنب الواحد يستتبع ذنوبا متعددة، ولا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم،
فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه، احتالوا لذلك بأنواع من الحيل،
وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي إتيانهم عشاء يبكون،
ولا تستبعد أنه قد كثر البحث فيها في تلك المدة، بل لعل ذلك اتصل إلى أن اجتمعوا بيوسف،
وكلما صار البحث، حصل من الإخبار بالكذب، والافتراء، ما حصل،
وهذا شؤم الذنب، وآثاره التابعة والسابقة واللاحقة.

{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} يوسف :٢٠

أن الشيء إذا تداولته الأيدي وصار من جملة الأموال،
ولم يعلم أنه كان على غير وجه الشرع، أنه لا إثم على من باشره ببيع أو شراء،
أو خدمة أو انتفاع، أو استعمال،
فإن يوسف عليه السلام باعه إخوته بيعا حراما لا يجوز،
ثم ذهبت به السيارة إلى مصر فباعوه بها،
وبقي عند سيده غلاما رقيقا،
وسماه الله شراء وكان عندهم بمنزلة الغلام الرقيق المكرم.

{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ} يوسف :٢٤

أن الهمَّ الذي همَّ به يوسف بالمرأة ثم تركه لله، مما يقربه إلى الله زلفى،
لأن الهمّ داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء،
وهو طبيعة لأغلب الخلق، فلما قابل بينه وبين محبة الله وخشيته،
غلبت محبة الله وخشيته داعي النفس والهوى.
فكان ممن {خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى}
ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله،
أحدهم: "رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله"
وإنما الهم الذي يلام عليه العبد، الهم الذي يساكنه، ويصير عزما،
ربما اقترن به الفعل.

{كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف :٢٤

أن من دخل الإيمان قلبه، وكان مخلصا لله في جميع أموره
فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه، وصدق إخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصي
ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه لقوله.
{وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}
على قراءة من قرأها بكسر اللام،
ومن قرأها بالفتح، فإنه من إخلاص الله إياه، وهو متضمن لإخلاصه هو بنفسه،
فلما أخلص عمله لله أخلصه الله،
وخلصه من السوء والفحشاء.

{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ} يوسف :٢٥

أنه ينبغي للعبد إذا رأى محلا فيه فتنة وأسباب معصية، أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه،
ليتمكن من التخلص من المعصية، لأن يوسف عليه السلام -لما راودته التي هو في بيتها-
فر هاربا، يطلب الباب ليتخلص من شرها،
ومنها: أن القرائن يعمل بها عند الاشتباه، فلو تخاصم رجل وامرأته في شيء من أواني الدار،
فما يصلح للرجل فإنه للرجل، وما يصلح للمرأة فهو لها، إذا لم يكن بينة،
وكذا لو تنازع نجار وحداد في آلة حرفتهما من غير بينة، والعمل بالقافة في الأشباه والأثر، من هذا الباب،
فإن شاهد يوسف شهد بالقرينة، وحكم بها في قد القميص،
واستدل بقدِّه من دبره على صدق يوسف وكذبها.

{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا} يوسف :٣٠

الحذر من الخلوة بالنساء التي يخشى منهن الفتنة،
والحذر أيضا من المحبة التي يخشى ضررها،
فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى، بسبب توحّدها بيوسف،
وحبها الشديد له، الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة،
ثم كذبت عليه،
فسجن بسببها مدة طويلة.

{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} يوسف :٣٣

أن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية،
فهكذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين - إما فعل معصية، وإما عقوبة دنيوية - أن يختار العقوبة الدنيوية على مواقعة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة،
ولهذا من علامات الإيمان، أن يكره العبد أن يعود في الكفر،
بعد أن أنقذه الله منه،
كما يكره أن يلقى في النار.

{وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ} يوسف :٣٣

ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى الله، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية،
ويتبرأ من حوله وقوته، لقول يوسف عليه السلام:
{وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} .

ومنها: أن العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلى الخير، وينهيانه عن الشر،
وأن الجهل يدعو صاحبه إلى موافقة هوى النفس،
وإن كان معصية ضارا لصاحبه

{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} يوسف :٣٩

أنه كما على العبد عبودية للّه في الرخاء، فعليه عبودية له في الشدة،
فـ "يوسف" عليه السلام لم يزل يدعو إلى اللّه، فلما دخل السجن، استمر على ذلك،
ودعا الفتيين إلى التوحيد، ونهاهما عن الشرك،
ومن فطنته عليه السلام أنه لما رأى فيهما قابلية لدعوته،
حيث ظنا فيه الظن الحسن وقالا له: {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} وأتياه لأن يعبر لهما رؤياهما،
فرآهما متشوفين لتعبيرها عنده - رأى ذلكَ فرصة فانتهزها،
فدعاهما إلى اللّه تعالى قبل أن يعبر رؤياهما ليكون أنجح لمقصوده،
وأقرب لحصول مطلوبه، وبين لهما أولا أن الذي أوصله إلى الحال التي رأياه فيها من الكمال والعلم، إيمانه وتوحيده،
وتركه ملة من لا يؤمن باللّه واليوم الآخر، وهذا دعاء لهما بالحال،
ثم دعاهما بالمقال، وبين فساد الشرك وبرهن عليه، وحقيقة التوحيد وبرهن عليه.

{مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} يوسف :٤٠

أنه يبدأ بالأهم فالأهم، وأنه إذا سئل المفتي،
وكان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله،
فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه،
فإن يوسف - لما سأله الفتيان عن الرؤيا —
قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى اللّٰه وحده لا شريك له.

{وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ} يوسف :٤٢

أن من وقع في مكروه وشدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه،
أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق،
فإن هذا من الأمور العادية التي جرى العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض،
ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين:
{اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} .

{قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأحْلامِ بِعَالِمِينَ} يوسف :٤٤

جمعوا بين الجهل والجزم، بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا، وهذا أيضا من لطف اللّه بيوسف عليه السلام. فإنه لو عبرها ابتداء - قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها -لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتما لها غاية، فعبرها يوسف- وقعت عندهم موقعا عظيما، وهذا نظير إظهار اللّه فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم فلم يعلموا. ثم سأل آدم، فعلمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد صلى اللّه عليه وسلم في القيامة، أن يلهم اللّه الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمدا صلى اللّه عليه وسلم فيقول: "أنا لها أنا لها" فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

فسبحان من خفيت ألطافه، ودقَّت في إيصاله البر والإحسان، إلى خواص أصفيائه وأوليائه.

{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ} يوسف :٤٦

إن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه،
وأن تعبير المرائي داخل في الفتوى،
لقوله للفتيين: {قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ}
وقال الملك: {أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ}
وقال الفتى ليوسف: {أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ} الآيات،.
فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم.

{قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ} يوسف :٤٧

أنه ينبغي ويتأكد على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه
وأن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع،
وأن لا يمتنع من التعليم، أو لا ينصح فيه، إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم،
فإن يوسف عليه السلام قد قال، ووصى أحد الفتيين أن يذكره عند ربه، فلم يذكره ونسي،
فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتى،
وجاءه سائلا مستفتيا عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف، ولا وبخه، لتركه ذكره
بل أجابه عن سؤاله جوابا تاما من كل وجه.

{قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ} يوسف :٤٧

أنه ينبغي للمسئول أن يدل السائل على أمر ينفعه مما يتعلق بسؤاله،
ويرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه ودنياه،
فإن هذا من كمال نصحه وفطنته، وحسن إرشاده،
فإن يوسف عليه السلام لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك،
بل دلهم - مع ذلك - على ما يصنعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع، وكثرة جبايته

{ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} يوسف :٤٩

لعل استدلاله على وجود هذا العام الخصب، مع أنه غير مصرح به في رؤيا الملك،
لأنه فهم من التقدير بالسبع الشداد، أن العام الذي يليها يزول به شدتها،.
ومن المعلوم أنه لا يزول الجدب المستمر سبع سنين متواليات،
إلا بعام مخصب جدا،
وإلا لما كان للتقدير فائدة

{قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} يوسف :٥٠

لا يلام الإنسان على السعي في دفع التهمة عن نفسه،
وطلب البراءة لها،
بل يحمد على ذلك،
كما امتنع يوسف عن الخروج من السجن
حتى تتبين لهم براءته بحال النسوة اللاتي قطعن أيديهن،

{قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ } يوسف :٥١

ما عليه يوسف من الجمال الظاهر والباطن،.

فإن جماله الظاهر، أوجب للمرأة التي هو في بيتها ما أوجب،

وللنساء اللاتي جمعتهن حين لمنها على ذلك أن قطعن أيديهن وقلن {مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ}

وأما جماله الباطن، فهو العفة العظيمة عن المعصية، مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوعها،

وشهادة امرأة العزيز والنسوة بعد ذلك ببراءته،

ولهذا قالت امرأة العزيز: {وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ}

وقالت بعد ذلك: {الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ}

وقالت النسوة: {حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} .

{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} يوسف :٥٥

أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل،
إذا كان في ذلك مصلحة، ولم يقصد به العبد الرياء، وسلم من الكذب،
لقول يوسف: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}
وكذلك لا تذم الولاية، إذا كان المتولي فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده،
وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره،
وإنما الذي يذم، إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجودا غيره مثله، أو أعلى منه،
أو لم يرد بها إقامة أمر الله،
فبهذه الأمور، ينهى عن طلبها، والتعرض لها.

{وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} يوسف :٥٧

أن اللّه واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدنيا والآخرة،
وأن خير الآخرة له سببان: الإيمان والتقوى،
وأنه خير من ثواب الدنيا وملكها، وأن العبد ينبغي له أن يدعو نفسه، ويشوقها لثواب اللّه،
ولا يدعها تحزن إذا رأت أهل الدنيا ولذاتها، وهي غير قادرة عليها،
بل يسليها بثواب اللّه الأخروي، وفضله العظيم
لقوله تعالى: {وَلأجرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} .

{أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ} يوسف :٥٩

مشروعية الضيافة،
وأنها من سنن المرسلين،
وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته
{أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ} .

{قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} يوسف :٦٤

أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم،
فإن يعقوب قال لأولاده بعد ما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عالجوه أشد المعالجة،
ثم قال لهم بعد ما أتوه، وزعموا أن الذئب أكله {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا}
وقال لهم في الأخ الآخر: {هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ} ثم لما احتبسه يوسف عنده،
وجاء إخوته لأبيهم قال لهم: {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} فهم في الأخيرة - وإن لم يكونوا مفرطين —
فقد جرى منهم ما أوجب لأبيهم أن قال ما قال،
من غير إثم عليه ولا حرج.

{وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ} يوسف :٦٥

أن جباية الأرزاق - إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم - لا بأس بها ،
لأن يوسف أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في السنين المخصبات، للاستعداد للسنين المجدبة،
وأن هذا غير مناقض للتوكل على اللّه، بل يتوكل العبد على اللّه،
ويعمل بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه.

ومنها: حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الغلات جدا
حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها ، لعلمهم بوفورها فيها ،
وحتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل،
لا يزيد كل قادم على كيل بعير وحمله.

المرجع/ كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي ط/ مؤسسة الرسالة — تفسير سورة يوسف ص ٤٠٧

{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ} يوسف :٦٧

أن استعمال الأسباب الدافعة للعين أو غيرها من المكاره،
أو الرافعة لها بعد نزولها، غير ممنوع، بل جائز،
وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء وقدر،
فإن الأسباب أيضا من القضاء والقدر،
لأمر يعقوب حيث قال لبنيه:
{يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ} .

{كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ} يوسف :٧٦

جواز استعمال المكايد التي يتوصل بها إلى الحقوق،
وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد،
وإنما الممنوع، التحيل على إسقاط واجب، أو فعل محرم.

{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ} يوسف :٧٩

أنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره، بأمر لا يحب أن يطلع عليه،
أن يستعمل المعاريض القولية والفعلية المانعة له من الكذب،
كما فعل يوسف حيث ألقى الصُّواع في رحل أخيه، ثم استخرجها منه، موهما أنه سارق،
وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته،
وقال بعد ذلك: {مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ}
ولم يقلَ "من سرقَ متاعنا"
وكذلك لم يقل "إنا وجدنا متاعنا عنده" بل أتى بكلام عام يصلح له ولغيره،
وليس في ذلك محذور، وإنما فيه إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر،
وأنه يبقى عند أخيه وقد زال عن الأخ هذا الإيهام بعد ما تبينت الحال.

{وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ } يوسف :٨١

أنه لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه،
وتحققه إما بمشاهدة أو خبر من يثق به،
وتطمئن إليه النفس لقولهم:
{وَمَا شَهِدْنَا إِلا بِمَا عَلِمْنَا}

{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} يوسف :٨٦

هذه المحنة العظيمة التي امتحن اللّه بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام،
حيث قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف، الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة،
ويحزنه ذلك أشد الحزن، فحصل التفريق بينه وبينه مدة طويلة، لا تقصر عن خمس عشرة سنة،
ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة {وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} ثم ازداد به الأمر شدة،
حين صار الفراق بينه وبين ابنه الثاني شقيق يوسف، هذا وهو صابر لأمر اللّه، محتسب الأجر من اللّه،
قد وعد من نفسه الصبر الجميل، ولا شك أنه وفى بما وعد به،
ولا ينافي ذلك، قوله: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} فإن الشكوى إلى اللّه لا تنافي الصبر،
وإنما الذي ينافيه، الشكوى إلى المخلوقين.

{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا} يوسف :٨٨

جواز إخبار الإنسان بما يجد، وما هو فيه من مرض أو فقر ونحوهما، على غير وجه التسخط، لأن إخوة يوسف قالوا: {يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ} ولم ينكر عليهم يوسف.

{إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف :٩٠

فضيلة التقوى والصبر،
وأن كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثار التقوى والصبر،
وأن عاقبة أهلهما ، أحسن العواقب،
لقوله: {قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} .

{قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} يوسف :٩٢

ما منَّ اللّه به على يوسف عليه الصلاة والسلام من العلم والحلم،
ومكارم الأخلاق، والدعوة إلى اللّه وإلى دينه، وعفوه عن إخوته الخاطئين عفوا بادرهم به،
وتمم ذلك بأن لا يثرب عليهم ولا يعيرهم به.

ثم برُّه العظيم بأبويه، وإحسانه لإخوته،
بل لعموم الخلق.

{فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} يوسف :٩٦

أن الفرج مع الكرب؛ وأن مع العسر يسرا ،
فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أنهى ما يكون،
ثم حصل الاضطرار لآل يعقوب ومسهم الضر،
أذن اللّٰه حينئذ بالفرج،
فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطرارا ،
فتم بذلك الأجر وحصل السرور،
وعلم من ذلك أن اللّٰه يبتلي أولياءه بالشدة والرخاء،
والعسر واليسر ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد - بذلك - إيمانهم ويقينهم وعرفانهم.

{قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} يوسف :٩٧

أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية،
فإن أولاد يعقوب عليه السلام جرى منهم ما جرى في أول الأمر،
مما هو أكبر أسباب النقص واللوم،
ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والسماح التام من يوسف ومن أبيهم،
والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة،
وإذا سمح العبد عن حقه، فالله خير الراحمين.

{سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} يوسف :٩٨

قيل: إنه أخر الاستغفار لهم إلى وقت السحر الفاضل،
ليكون أتمَّ للاستغفار،
وأقرب للإجابة.

{وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ} يوسف :١٠٠

أنه ينبغي لمن أنعم اللّٰه عليه بنعمة بعد شدة وفقر وسوء حال،
أن يعترف بنعمة اللّٰه عليه،
وأن لا يزال ذاكرا حاله الأولى،
ليحدث لذلك شكرا كلما ذكرها،
لقول يوسف عليه السلام:
{وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ}

{إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ} يوسف :١٠٠

هذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام،
حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته،
وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان اللّٰه إلي
فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: "أحسن بكم" بل قال {أَحْسَنَ بِي}
جعل الإحسان عائدا إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.
{مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} فلم يقل "نزغ الشيطان إخوتي" بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين،
فالحمد للّٰه الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة.

{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} يوسف :١٠١

فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛
وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف،
فإن يوسف - بسبب جماله - حصلت له تلك المحنة والسجن،
وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض،
فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته.

{فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} يوسف :١٠١

لطف اللّه العظيم بيوسف، حيث نقله في تلك الأحوال،
وأوصل إليه الشدائد والمحن، ليوصله بها إلى أعلى الغايات ورفيع الدرجات.

ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يتملق إلى اللّه دائما في تثبيت إيمانه،
ويعمل الأسباب الموجبة لذلك، ويسأل اللّه حسن الخاتمة، وتمام النعمة
لقول يوسف عليه الصلاة والسلام:
{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ
أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}

انتهى بحمد اللّٰه وفضله جمع بعض الفوائد
من تفسير سورة

(يوسف)

نسأل اللّٰه تعالى أن يجعلها
نافعة لعباده مقربة لمرضاته
إنه وليّ ذلك والقادر عليه

تويتر
@fwayidd1